

ويمكن أن نستخلص من هنا التلخيص أن القدماء كانوا ولا ريب يدركون الوحدة في القصيدة وأهميتها ، كما يبدو من مضمون كلامهم أو صريحه ، ولكنهم لم يطبقوها في نقدهم بصورة ملتزمة أو محددة لأسباب أهمها :

١- أن النقد الأدبي لم يصبح لديهم علما ذا منهج أو أسس محددة كما هو الحال في العصر الحديث ، ولا نستطيع أن نقول إن هنا كان عجزا منهم ، فإنهم وضعوا من العلوم والمناهج ما هو أصعب وأدق ، ولكننا لو ألقينا نظرة كلية على العلوم التي اهتموا بها نجدها تدور في مجالين ، مجال ديني كعلم الفقه وعلم الكلام ، ومجال لغوي كعلم النحو والاشتقاق وعلم اللغاجم ، وعلم البلاغة ، وهذا المجال أيضا كان الدافع إليه هو محاولة فهم القرآن والمحافظة على سلامة النطق به ، وتدقيق إعجازه ، وهكذا نجد معظم العلوم لديهم نبعت من اهتمام ديني ، وظلت تدور في فلك ديني وجهود فردية محددة جدا في مجال البحث العلمي وتقعيد القواعد والمناهج هي التي نبعت من الاهتمام بالشعر لذاته ، كجهود الخليل بن أحمد في وضع علم العروض ، وهو نوع من النقد الموسيقي للشعر ، وكجهود السكري في جمع أشعار بعض القبائل ، كشعر المهلبين^(٤٣) أو بعض الطوائف كشعر اللصوص في كتب مستقلة ، وإن كان كتابه عن شعر اللصوص قد ضاع في متاهات العصور ولم يصل إلينا ، وإذن فالاهتمام العلمي العام كان يدور حول الناحية الدينية ، أما الشعر فكان من الناحية العلمية مجالا فرديا خاصا ، أي من ناحية البحث العلمي وتحديد المناهج والقواعد .

٢- يمكن تعليل عدم متابعة الجهود العلمية الفردية في الشعر بأنهم فيما يبدو كانوا يرون أن الشعر محض موهبة أو استعداد طبيعي لدى الشاعر ، وليس للتعليم أو النقد فائدة ذات قيمة في توجيهه توجيها أساسيا كبقية العلوم ، فعلم النحو مثلا يستفاد به في عرض كل الكلام على قواعده ، وعلم الفقه يستفاد به في عرض كل مناحي الحياة والسلوك على أحكامه ، وليست للنقد هذه الأهمية في نظرهم ، فإن الشاعر يقول الشعر من خلال طبعه واستعداده ، فإذا جانبه الصواب فإن لدى كثير من السامعين فضلا عن العلماء والنقاد القدرة على إدراك خطئه أو عدم دقته .
وتنتيجة لذلك بقي النقد عندهم محصورا في محيط الذوق الفردي . ولم يحاولوا أن